

تجليات الغربة وظواهرها في أشعار "عدنان الصائغ"

ديوانا «تأبط منفي» و «تكوينات» نموذجاً

علي خضري^{١*}، رسول بلاوي^٢، آمنه آيگون^٣

١. الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة خليج فارس بوشهر

٢. الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة خليج فارس بوشهر

٣. الماجستير في اللغة العربية و آدابها بجامعة خليج فارس بوشهر

تاريخ قبول: ١٣٩٤/٠٤/٣١

تاريخ استلام: ١٣٩٣/٠٦/٣١

الملخص

الغربة أو الإغتراب ظاهرة قديمة قدم الإنسان حيث تصل إلى آدم (ع) وتشمل عامة المجتمعات والثقافات. فكثير من الشعراء أخذوا يتطرقون إليها إثر الموم والالام التي تطرق أبواب قلوبهم. فللغربة تجليات وظواهر أليمة وممصة على قلوب الشعراء حيث عبّر كلٌ منهم عنها وفقاً لرؤيته وظروفه. ومن هؤلاء الشعراء الذين تأبط منفاه واختار الغربة مجيراً إثر أوضاع وأحداث بلاده المؤلمة والظروف الخائفة هو الشاعر العراقي المعاصر "عدنان الصائغ". فقد ضاقت به الحال في بلده فلم يجد إلا أن يضرب في مناكب الأرض متنقلاً بين البلدان بحثاً عن الأمان والرّزق. وظّف هذا الشاعر ظاهرة الغربة والحنين في أشعاره عامةً وقد بالغ في اهتمامه بالوطن بسبب أنه يجمع فيه كل ما يشاقق إليه؛ والشاعر منفي مطرود من بلده بيد الدهر بسبب الظروف الخائفة التي طرأت في بلده. فنحن في إطار هذا البحث وفقاً للمنهج الوصفي التحليلي سنحاول أن نقوم ببيان أهم الموضوعات التي تكشف عن حالات الغربة والسياسات التعسفية التي أرغمتها على مغادرة العراق، ثم نركز على مواقف الحنين إلى الأهل والأحبة، والمظاهر الطبيعية، وذلك في ديوانيه "تأبط منفي" و "تكوينات"؛ وهذا البحث يقدم فكرة للقارئ عن مدى الظلم الذي قام به النظام البعثي تجاه النخب العراقية وعلى رأسهم الشعراء والكتاب جراء سياسات لإنسانية دفعت المواطنين إلى مغادرة البلاد. ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث هو أنّ الشاعر رغم مغادرة الوطن بقي متعلقاً بالأحبة والأهل والمظاهر الطبيعية في العراق، فيحنّ إلى وطنه الضائع بكل ما لديه من الوجد والشوق؛ وترف الحياة ونعيمها في الخارج لم يشغله عن ذكر وطنه بل أخذ يعبر عن مضاضة العيش في غربته، ويرسل الزفرات شوقاً وحنيناً لوطنه. وقد تبين لنا أنّ أسلوب الشاعر سلس بسيط، وأحزانه لم تدع له موضعاً لتكالف العسير من الألفاظ والتعابير، مما جعل شعره يتسم بالصدق والسلاسة.

الكلمات الرئيسية: الشعر العربي المعاصر؛ الغربة؛ الحنين؛ عدنان الصائغ؛ تأبط منفي؛ تكوينات.

المقدمة

الغربة والحنين من الظواهر الإنسانية التي لا نستطيع حصرها في تاريخ أو مجتمع خاص، بل تشمل جميع العصور قديماً وجديداً وقد تأثرت بها ثقافات وأمم مختلفة. هناك للظلم السياسي والاقتصادي الذي يفرضه السلاطين والحكام على الأمم والشعوب دور عظيم في إظهار هذه الحالات والآلام من الحنين والأنين وتؤدي هذه الأحوال إلى اعتزال الناس عامةً والشعراء خاصةً من بلادهم واختيار الغربة رغم إرادتهم.

شعر الحنين من الموضوعات التي طرقها الشعراء قديماً وحديثاً، وتمتاز بالعاطفة الصادقة والأحاسيس الحزينة المتأججة المنبعثة من قلب كئيب شوقاً إلى وطنه، وأهله، وأصدقائه، وما يتعلق بالوطن من المظاهر والأماكن. ومن هؤلاء الشعراء الذين كانوا يقيمون في الغربة مرغماً هو الشاعر العراقي المعاصر "عدنان الصائغ". إنّه غادر الوطن إثر المضايقات السياسيّة التي فرضها الولاة والسلاطين في بلده وأيضاً الحروب التي كانت السبب المباشر في المحنة التي عاشها الشاعر.

قد أصبح تاريخ العراق بعد حكومة صدام حسين في عهد الشاعر أشدّ سواداً من قبله وألّفت كتب عديدة في جرائم النظام البعثي. كان الصائغ يعاني الفقر والبؤس ولهذا يجد الحلّ في الابتعاد عن الفوضى والبحث عن الأمن والاستغناء الاقتصادي. نجد الصائغ بعد مغادرته، ينظم حول وطنه أشعاراً مبهكية من شدّة اللوعة والحسرة والتشوّق والمعاناة. وإننا في هذه الدراسة نهدف إلى تبين تجليات الغربة التي تركت أثرها واضحاً في نتاج الشاعر كما سننظر على أبرز ظواهر الغربة بما فيها الحنين؛ وضرورة البحث تتجسد في اطلاع القارئ على مدى شدّة الظلم الذي تعرّض له أبناء العراق جراء الحكم البعثي وما أعقبه من هجرات قسريّة للنخبة المثقفة بما فيهم الشعراء.

نتناول في هذا البحث «الحنين والغربة» لغةً واصطلاحاً مع التوقّف سريعاً عند حياة الصائغ ومسببات هجرته ثمّ نخوض في بيان حالات الغربة ومواقف الحنين في ديوانه "تأبط منفي" و"تكوينات".

أسئلة البحث

في بحثنا هذا نحاول أن نجيب عن الأسئلة التالية: ما هي أهمّ الموضوعات التي تكشف عن حالات الغربة ومواقف الحنين في ديواني الشاعر "تأبط منفي" و"تكوينات"؟ كيف عبّر الصائغ عن مشاعره تجاه وطنه في الغربة؟

خلفية البحث

حظيت الغربة والحنين في الشعر بعناية عديد من الباحثين وأفردت لها رسائل، وكتب، ومقالات عديدة ولم تقتصر على شاعر دون غيره من شعراء العراق. ومن هذه الأبحاث التي اطلعنا عليها هي: كتابان تحت عنوان أدب الغرياء ل"أبي الفرج الأصبهاني"، والحنين إلى الأوطان ل"المحافظ" وفي كلا هذين الكتابين يقوم الكاتبان بجمع ما كُتب على الجدران والأماكن وما يوجد في الكتب حول الغربة والحنين قديماً حتى زمنهما. وهناك كتاب يحمل عنوان "الإغتراب في الشعر العراقي المعاصر" ل"محمد راضي جعفر". وقد تطرّق في هذا الكتاب إلى أنماط الاغتراب في شعر الرواد العراقيين: بدر شاكر السياب، ونازك الملائكة وعبد الوهّاب البياتي، وبلند الحيدري دراسة أدبيّة تعني بالاغتراب في الشعر العراقي المعاصر وكيفية التعبير عن مفهوم الاغتراب مع عرض وجهات نظر فلسفيّة ودينيّة وأدبيّة. وكذلك مقال ل"رسول بلاوي" وآخرين يحمل عنوان "موتيف الاغتراب في شعر يحيى السماوي" يتطرّق المقال إلى موتيفات ترتبط بالغربة في شعر هذا الشاعر ومن نتائجه أنّ: الشاعر يحيى السماوي اتّخذ من الموتيف أداة جماليّة تخدم الموضوع الشعري وتؤدي وظيفة أسلوبية تكشف عن الإلحاح أو التأكيد الذي يسعى إليه.

أمّا الدراسات التي تناولت شعر عدنان الصائغ فهي كالتالي: مقال ل"مقداد رحيم" بعنوان "تأبط منفى وهموماً أخرى: دراسة في شعر عدنان الصائغ" يأتي الشاعر في هذا المقال بشواهد شعرية من ديوان الشاعر "تأبط منفى" ويدرسها دراسة تحليليّة ويشير إلى سبب تسمية الكتاب بهذا العنوان ثم يصل إلى أنّ المنفى هو الذي جعل الشاعر مهموماً وكثيراً. هناك مقال آخر ل"عاطف السيد بهجات" عنوانه "انشطار الذات في ديوان (تأبط منفى) لعدنان الصائغ: جدل الرؤية وآليات التشكيل" ومن نتائج هذا المقال: أنّ الصائغ لم يتخلّص بعد من مرحلة القهر ولا يزال منشطراً بين الماضي والحال وهو يعيش الحرّيّة.

وثمة مقالة ل"راحلة محمودي ومحمد رضا ابن الرسول" عنوانها "قضايا العراق السياسيّة في مرآة شعر عدنان الصائغ" وقد تطرّقا فيه إلى القضايا السياسيّة في أشعار الصائغ ومن نتائج هذا المقال هي أنّ الصائغ أورد قضايا سياسيّة هامّة في شعره، منها الحرب فهي أبرز هذه القضايا التي عبّر الشاعر عنها. وشعره في الحقيقة مرآة مجتمعه وما تعترّيه من الحروب أهليّة كانت أو خارجيّة.

والملاحظ أنّ هذه الدراسات بالرغم من قيمتها وغناها لم تعالج موضوع الغربة في شعر عدنان الصائغ، ومن هذا المنطلق، درستنا هذه هي أول دراسة تتناول موضوع الغربة والحنين في تجربته.

نبذة عن حياة عدنان الصائغ

ولد الشاعر "عدنان الصائغ" في مدينة الكوفة في العراق عام ١٩٥٥م، في بيت صغير قريباً من نهر الفرات. «بدأ الكتابة من سن مبكّر وأوّل قصيدة كتبها في العاشرة من عمره عن والده الذي كان يرقد في مستشفى الكوفة مصاباً بمرض السل والسكري وقد بكت والدته حين وقعت القصيدة بين يديها صدفة وكانت تجربته الأولى في حياته الشعرية. عمل الصائغ في الصحف والمجلات العراقية والعربية في أنحاء العالم. لقد غادر الوطن صيف ١٩٩٣م نتيجة للمضايقات الفكرية والسياسية التي تعرّض لها وتنقل في بلدان عديدة، منها عمان وبيروت، حتي وصل إلى السويد خريف ١٩٩٦م، وأقام فيها سنوات عديدة ثمّ يستقرّ بعدها في لندن منذ منتصف ٢٠٠٤م» (الزبيبي، ٢٠٠٨م، ص ٥).

إنّ الصائغ يحكي لنا عن انتمائه إلى جيل الثمانينات في كتابه "تلك السنوات المثة" قائلاً: «أنا من جيل شعري في العراق سُمّي جيل الثمانينات أو جيل الحرب أو جيل الظلّ، جيل نشأ في بداية الكارثة، وكبر وشاخ فيها، عشنا الخراب والدم والقمع والحصار والغربة، منفيين في الوطن أو شهداء على لائحة الانتظار» (الصائغ، ٢٠٠٤م، ص ٥٥٨). وقد اشتهر الصائغ بسرد القصائد الموسومة بقصائد النشر. إنّه «يمثّل تطوراً عضويّاً للقصيدة الحديثة في العراق وحملته لتلك الانتباهة الدافئة التي أطلق شرارتها جيل الستينات» (محمودي، ١٤٣٣م، ص ١٢).

وحينما سئل الصائغ عن قصيدة النشر قال: «نصوصي هاربة دائماً من السرب والقطع والمؤسسات ولا تؤمن بالقوالب والحدود والكليشات ولا بالتقسيمات الجاهزة. إنّها تدخل إلى قصيدة عمودية وتخرج منها إلى القصيدة الحرة أو النشر أو النص المفتوح، أو بالعكس، دون أيّ صعوبة أو تعقيد.. لم تخضع قصيدي لقالب أو مذهب معيّن أو تمسك نفسها تجاه معيّن. فالحرية: فكراً، سلوكاً، تمثلاً، هي الهاجس الأهمّ في كتاباتي وحياتي..» (الزبيبي، ٢٠٠٨م، ص ٣٣).

أمّا الأوضاع السياسية في عصر الشاعر: فقد كانت وماتزال خانقة جداً في بلاد الشاعر حيث كان يرى حروباً كثيرة منها: «حرب الخليج الأولى وهي في الواقع الحرب التي دارت بين العراق وإيران عام ١٩٨٠م-١٩٨٨م وشارك الشاعر فيها، وحرب العراق ضدّ الكويت عام ١٩٩١م، وحرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م، والثالثة عام ٢٠٠٣م نشبت بين العراق وأميركا» (محمودي، ١٤٣٣هـ: ص ١٨-٢٤). والأوضاع الاجتماعية دفعته هي الأخرى إلى ترك بلده هي: عدم الحرية، وظلم الدولة السائدة،

تجليات الغربة و طواهرها في اشعار عدنان الصائغ ديوانا تأبّط منفي و تكوينات نموذجاً على خضري، رسول بلاوي، آمنه أبكون والفقر، والبؤس. شاعرنا قد عاش فقيراً يعمل في أماكن مختلفة ويمتحن مهناً شتى ليحصل على قوت ينجيه من جوعه. وقد دخل السجون والزنازن بسبب إنشاده أشعاراً ضدّ الحكومة وعمّالها. يقول الصائغ في حوار له لأحد الصحفيين: «لقد طحنتنا المخاوف ولا تزال. كأنّ حياتنا اليوميّة مواجهة مع الموت في وطن لم نر منه غير القمع والذلّ والجوع، وهو من أخصب بلدان الله وأوفرها أنهاراً ونفطاً وخيرات ومزروعات وحضارات. وسحقت الدبّابات ذاكرتي فلا أكاد أتذكر شيئاً من طفولتي وشبابي سوى الرصاص والحرمان والتشرد» (الزريبي، ٢٠٠٨م: ص ٢٥). كل هذا أدّى إلى مغادرة الشاعر وطنه واختيار الغربة. نظم الصائغ عن وطنه وأوضاعه الخائفة وقد رسم ما فيه من الحرمان والمضايقات وعبر عن شوقه إليه في دواوين عديدة منها: تأبّط منفي، وتكوينات، وتحت سماء غريبة، ونشيد أوروك، وأغنيات على جسر الكوفة، والعصافير لا تحب الرصاص، وانتظري تحت نصب الحرّيّة، ومرايا لشعرها الطويل، وسماء في خوذة، وغيمة الصمغ. وإنّا اخترنا ديوانيه الأول والثاني لهذه الدراسة. طبع الأول في السويد سنة ٢٠٠١م والثاني في بيروت سنة ١٩٩٦م.

الغربة والحنين لغةً واصطلاحاً

الغربة أنين وحنين، شجن ومشاعر دفينّة. الغربة عند صاحب كتاب "العين" خليل بن أحمد بمعنى «الاعتراب من الوطن، التنحّي، التّوى البعيد كما ينشد ابن الأحرر: "لاحت هجائنُ بأسي لوحه عُرباً"» (خليل بن أحمد، ٢٠٠٥م: مادة «غ ر ب»).

أمّا الحنين من الناحية اللغويّة: فهو كما أتى به خليل بن أحمد يدلّ على: «الرحمة، والطرب. الحنين إلى الناقاة أي صوتها إذا اشتاقت، ونزاعها إلى ولدها من غير صوت. حيث يقول رؤبة:

حَنَّتْ قُلُوصِي أَمْسٍ بِالْأُرْدُنِّ حَيِّي فَمَا ظَلَمْتُ أَنْ تَحْيِي

(المصدر نفسه، ٢٠٠٥م: مادة «ح ن ن»)

وقد جاء في لسان العرب: «حَنَّ يَحْنُ حَنِيناً: صَوْتُ وَالْحَنِينُ صَوْتُ الطَّرْبِ لِحَزْنٍ أَوْ فَرَحٍ وَالْحَنِينُ: الشُّوقُ وَتَوَقُّانُ النَّفْسِ» (ابن منظور، ١٤١٤هـ: مادة «ح ن ن»).

أمّا الغربة من حيث الاصطلاح فهي تطلق على «كلّ قصيدة تعكس صورة الإنسان النفسيّة وهو مبعّد عن وطنه قسراً أو اضطراراً، حيث تكون نفس الشاعر من خلال قصائده مضطربة بين البقاء في ديار الغربة، والحنين إلى أرض الوطن؛ وقد يجيء هذا النوع نتيجة معاناة الشاعر بعيداً عن وطنه الأمّ، فالشاعر المغترب يعكس صوته حقيقةً من خلال دعوات صريحة للاستقرار وطلب

الأمان، واتقاء شرّ الغربة» (ابن رمضان، ٢٠٠٥م: ص ٣١).

والحنين في الاصطلاح يعني: «الشوق وتوقان النفس مع الطرب والتنغيم. وهو يكشف مدى معاناة الإنسان في ديار الغربة بعيداً عن وطنه، فالحنين يرضي شغف النفس، ويشبع حبّ الناس للأوطان» (الخليلي، ٢٠٠٧م: ١٨). والحنين كما ترى ستارو بنسكي: «ارتباط داخلي مرتبط بظاهرة الذاكرة» (ستارو بنسكي، ١٩٦٨م: ٤٣). فالذاكرة تزيد من ألم الشاعر في بلاد الغربة وتذكّره بالحرمان من بلده الأمّ.

ومّا يؤكّد حبّ الأوطان قول الله عزّ وجلّ حين ذكر الديار يخبر عن مواقعها من قلوب عباده فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ (النساء، ٦٦).

إذن الغربة والحنين ظاهرتان إنسانيتان متلازمان لا يمكن الفصل بينهما، فالغربة سبب في الحنين، إذ لا يمكن للفرد أن يتعرّض إلى حالة من حالات الغربة ما لم تتحرّك في نفسه نزعة الحنين لتخفيف ذلك الألم الذي سببته الغربة، فتعمل الذات على خلق الرغبات والأمنيات التي يرحو المغترب تحقيقها وهو في أوج صراعه مع اليأس (الربيعي، ٢٠١٣م: ١٣).

إنّ شريحة غير قليلة من أبناء الشعب العراقي آثرت سبيل الهجرة لتجد متنقّساً في بلاد الغربة. وبطبيعة الحال فإنّ عدداً لا بأس به من هؤلاء، و معظمهم من الطبقة المثقفة هم من الشعراء و الأدباء الذين جعلوا يبيّنون شكواهم، و ما تعتلج به صدورهم في أبيات من الشعر و دواوين صدرت لهم، تتفق جميعاً في قضايا كثيرة من حيث المفهوم و المحتوى، أهمّها الاغتراب و الشعور بالحنين إلى الوطن، و التغنيّ بأجماده، و رثاء جروحه العميقة (دلشاد، ٢٠٠٨م: ٦٩). و من أبرز هؤلاء الشعراء الذين تجسّدت الغربة بكل مظاهرها في نتاجهم الشعري هو الشاعر العراقي عدنان الصائغ الذي يُعتبر محوراً لهذه الدراسة.

مواقف الغربة والحنين عند الصائغ

الف) الاغتراب عن الوطن والحنين إليه

تعدّدت أسفار الشعراء و رحلاتهم، فخرجوا من بلدانهم فشرقوا وغربوا، بحثاً عن الأمان والراحة الموجودة في بلدانهم الأمّ رغم المضايقات الموجودة. وعند فشلهم في البحث عمّا فقدوه يلجأون إلى زادهم، وما زاد المسافر إلّا الحنين إلى الوطن والأهل، فيقوم الشعراء بتذكّار المدن وما تركته من أثر

تجليات الغربة و ظواهرها في اشعار عدنان الصائغ ديواناً تأبط منفي و تكوينات نموذجاً على خضري، رسول بلاوي، آمنه أبگون
في حياتهم ونفوسهم، ويتشوقون في بلاد الغربية إلى أوطانهم الأصيلة ومساقط رأسهم ويستسقون
الحياة، ويعبرون عن حبيهم لأهلها وما فيها. ولم يكن شغف الشاعر بديار أحبته إلاّ تعلقاً
بساكنيها وشوقاً إليهم في غربته (خليفة، ٢٠١١م: ٧٤). لأنّ الغربية دائماً لكلّ المغتربين ودواؤها لقاء
أوطانهم واحتضانها. وكان جزاء من يقف أمام سياسة الطغاة هو الرحيل إلى بلاد المنافي والضياع
في محطات الغربية والابتعاد عن الأهل والأصدقاء والأحباب، الابتعاد عن الأرض الأم التي نشأ
فيها الفرد العراقي، فهكذا يُجرم نعيم وطنه.

فالوطن هو المكان الوحيد الذي يلجأ إليه الإنسان من ضوضاء البلاد والآلام النفسية ويرتاح
بale فيه ويشعر بالراحة والهدوء. الوطن كما يرى الربيعي هو: «الأرض أو المكان الذي ينزل فيه
الإنسان ويستقرّ عليه، وتنعقد بينه وبين المكان رابطة قوية، تتحدّد من خلالها أنشطته الدينيّة
والاجتماعيّة والفكريّة» (الربيعي، ٢٠١٣م: ٥٨). فالبكاء على الوطن والحنين والشوق إليه مكنون في
نفس الإنسان بل من طبيعته.

يتذكّر الصائغ وطنه العراق وهو في المنفى؛ العراق الذي دائماً يبتعد عنه كلّما يخطو خطوة نحو
المنافي. يصدر لأجله الآهات والحسرات المحرقة الكامنة في صدره ويشكو من الاختصار في حقّ
معرفة تاريخها لأجل استيلاء الطغاة الغاصبين عليها قائلاً:

العراق الذي يبتعد / كلّما اتسعت في المنافي خطاه / ... / قلت آه / ... والعراق الذي
تفتتد / نضفت تاريخه أعنان وكحل / ... / ونضفت طغاه

(تأبط منفي: ٨)

يأتي الشاعر في بداية المقطع بالفعل المضارع . و هو موضوع لإفادة التجدد و الحدوث .
لابتعاد العراق عنه كأنّه يريد أن يدعي بأنّ هذا النوى مازال موجوداً ولا نهاية له و يليه فعل
ماض . يفيد بأصل وضعه ثبوت شيء لشيء . دالاً على أنّ خطاه هو في المنافي ثابتة دائمة وهو
في شوق دائم ودموع دائمة . يكرّر الشاعر الآهات بتواصل عبر الكلمات التالية: "خطاه"،
و"آه" وأخيراً "طغاة".

أخذ الشاعر بالشكوى عن الغربية وبعده عن دياره وبلده عندما يتعانق الجميع ويتحابّون
عند الأعياد وتحويل السنوات وهو وحيد لا يؤنس أحد وحشته بل كان محاطاً بكلّ الغائبين عنه.
ومن شكواه:

كُنْ عَامٍ / الأُدْرُعُ تَتَعَانِقُ / وَأَنَا أُحَادِقُ / عَبَّرَ نَافِذَةَ الْمَنْفَى / إِلَى وَطَنِي / كَمُصْفُورٍ يَرْمِي
نَظْرَتَهُ الشَّرِيدَةَ / إِلَى الرَّبِيعِ / مِنْ وَرَاءِ قُضْبَانٍ قَفْصِهِ

(السابق: ٤٢)

يرنو الشاعر إلى وطنه علّه يصل إليه خبر سارّ ومبهج حتى يجري الدّم في عروقه ويحيا من جديد كالعصفور الذي يتطلّع إلى الربيع من وراء قضبان قفصه. يعاني الصائغ أيضاً من التنقل بين البلدان ويقائه بلا وطن بعيداً عن بلده الأمّ. إنّ هذا البعد والنوى جعل الشاعر هرمّاً حيث أصبح جسمه منحنيّاً كأنّه علامة سؤال من كثرة الأسئلة التي تكمن في صدره وسوف يذهب بها إلى اللحد بلا أجوبة كمن يتأبط منفاه خوف أن يسرقه أحد منه ويبقى بلا ذكريات عندما يقول في المقطع السادس في كتابه التكوينات:

لِكثْرَةِ مَا حَابَ مَنَافِي الْعَالَمِ / كَانَ يَمُتُّ مُنْحَنِياً / كَمَنْ يَتَأَبُطُ وَطَناً

(تكوينات: ١٠٠)

الصائغ يتأبط وطنه ويمائل السارق الذي قد سرق شيئاً خطيراً وهو يجوب البلدان بحثاً عن الأمن والأمان والراحة. وفي الواقع الذلّ والهوان هما اللذان تأبطهما الصائغ في المنافي- كما تأبط وطنه- والمنافي هي الشرّ والهوان. أمّا الوطن الأمّ فهو الذي ينجب الراحة والرزق كما ينقل الجاحظ: قيل لبعض الأعراب في الحنين إلى الأوطان: «ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان، قيل فما الذلّة؟ قال: التنقل في البلدان والتنحّي عن الأوطان» (الجاحظ، ١٩٨٢م: ص ٤٠٧). فالتنقل بين البلدان كان ذلّاً للصائغ حيث يدعو الله سبحانه وتعالى بالتضرّع والاسترحام في قصيدة طويلة تدعى «المحذوف من رسالة الغفران» مخاطباً فيه ربّ الكون والمكان:

يَا أَبَانَا... / يَا أَبَانَا الرَّحِيمِ / أَعْرِفُ أَنَّكَ لَنْ تَضْحَكَ عَلَيَّ دُفُونِنَا مِثْلَهُمْ / لَكِنِّي مُهَانٌ
وَيَائِسٌ / أُرِيدُ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ الْوَاسِعَةِ أَضْعُ عَلَيْهِ رَأْسِي وَنِعَالِي وَأَنَامُ

(تأبط منفى: ٧٠)

إنّه يخاطب الله سبحانه وتعالى ويتمنى لو يعطونه شيئاً من أرض وطنه حتى يتخلّص من هذه الصفات التي جعلته (مهان وبائس). لهذا يبدأ بالتضرّع واستعطاف الله الرحيم فيطلب منه شيئاً من أرض وطنه ليضع رأسه عليه وينام. وعندما يرى بأنّه لأمفرّ من الغربية ولا بد منه أن يواصل العيشة في المنفى يقرّر السفر ليهجر الوطن ثمّ يشكو أحداثها وظروفها الخائفة ويجزم حقائبه

تجليات الغربة و ظواهرها في اشعار عدنان الصائغ ديواناً تأبط منفي و تكوينات نموذجاً على خضري، رسول بلاوي، آمنه أبگون

ودموعه وقصائده مختاراً المناياي حيث يقول في المقطع الثالث من "أوراق من سيرة تأبط منفي":

سَأخِرُمْ حَقَائِي/ وَدُمُوعِي وَقَصَائِدِي/ وَأُزْحَلُ عَنْ هَذِهِ الْبِلَادِ/... أُرِيدُ أَنْ أَذْهَبَ/
دُونَ أَنْ أَرَى مِنْ نَوَافِدِ السُّفْنِ وَالْقِطَارَاتِ/ مَنَادِيكُمُ الْمَلُوحَةَ

(المصدر نفسه: ٥٨)

يستولى الندم على ضمير الشاعر بسرعة ويتراجع عن موقفه وهو يحضن صناديق البريد في أول منفي يضع قدمه فيه ويكي على وطنه متكسراً من الحنين مولعاً مشتاقاً عندما ينهي المقطع المذكور من القصيدة بالأبيات التالية وهذا يدل على القلق النفسي وحيرة الشاعر كما تعتقد روضة: «فهذه توضح اضطراب الشاعر ومعاناته القلق والذي يعتبر سمة بارزة للاغتراب النفسي» (المولد، ٢٠٠٧م: ٥٩).

مَا إِنْ نَرِحَلْ عَنْهَا يَضَعُ خُطُوتِي/ حَتَّى تَتَكَسَّرَ مِنَ الْحَنِينِ/ عَلَى أَوَّلِ رَصِيفِ مَنْفَى
يُصَادِفُنَا/ وَتَهْرَعُ إِلَى صِنَادِقِي الْبُرِيدِ/ نَحْضُنْهَا وَتَبْكِي

(المصدر نفسه: ٦٠)

إننا نرى في مثل هذه الشواهد وغيرها قلق الشاعر واضطرابه في قراراته التي يقوم بها فإنّه يحب الاستقرار في الوطن ولا يحب، يريد الوطن لما يحتوي على الأحبة والأهل وما يؤنس بهم من الأصدقاء وجمال الوطن ولا يريد لها لما يحمل له الضيق والفقر والآلام. يأمل الشاعر لو يحصل على رغييف من سنابل وطنه ويتلذذ بها ثمّ يطلب من الله العودة إلى وطنه ويتمنى لو يجلس على باب "مسجد الكوفة" و"كنيسة لوند" و"حائط المبكى" و"معبد بودا" مرتاح البال مهنتاً بالحياة. إنّه يقول:

أُرِيدُ رَغِيْفًا وَاحِدًا مِنْ مَلَائِيْنِ السَّنَابِلِ الَّتِي تَتَمَاسِكُ أَمَامِي كَحُضُورِ الرَّاقِصَاتِ/...
أَجْلِسُ أَمَامَ بَابِ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ/ أَجْلِسُ أَمَامَ كَنِيسَةِ لُونْدِ/ أَجْلِسُ أَمَامَ حَائِطِ
الْمَبْكِيِّ/ أَجْلِسُ أَمَامَ مَعْبَدِ بُودَا/ ضَاغِطًا رَاحَتِي عَلَى رُكْبَتِي

(المصدر نفسه: ٧٣)

هناك حبّ الشاعر لملذاته في الوطن دعاه إلى الحنين حتى تذكّر سنابل بلده التي تنجب الرغائف الشهية؛ والأماكن التي عدّها الشاعر لها قيم دينية مهمة تنتمي كلّ واحدة منها إلى أديان سماوية كدين الإسلام والمسيح واليهود والبوذا، فالعراق بلدٌ تعدّدت فيه الأديان السماوية وكان أصحابها متعايشين بسلام. يشير الشاعر في هذا المقطع إلى هذه الأديان فيحجّ ويشتاق إلى أهلها

في العراق. إنّ الصائغ عند خروجه من الوطن كان يفكر وما زال يأمل العودة إلى بلده النائي عنه وينتظر بفارغ الصبر ليحتضنه لكنّه ما زال يتنقل من منفى إلى منفى وعيونه غارقة في الدموع يبكي لأجل بلده ويرنو إليه:

أَفَلَعْتُ فِي أَوَّلِ قَطَارٍ إِلَى الْمُنْفَى / وَأَنَا أَفَكِّرُ فِي الْعُودَةِ / ... / وَأَنَا مَازِلْتُ مُسَافِرًا فِي
الرَّيْحِ / أَتَطَايِرُ بِحَيِينِي فِي قَارَاتِ الْعَالَمِ / ... / أَنَا مُعَلِّقٌ عَلَى سَطُوحِ الشَّاحِنَاتِ / وَعُيُونِي
الْمُعْرُوقَةُ بِأَجْهَادِ الْوَطَنِ الْبَعِيدِ

(المصدر نفسه: ٦٨)

فالشاعر تائه حيران جاهل مصيره تماماً فهو قلق أمام هذه المواقف. يقلع وهو يفكر في العودة، ومسافراً في الريح، ومتطائر في قارات العالم، وعيونه ترنو إلى الوطن. كل هذا يدل على قلق الشاعر ورتة الأسى ولهفة اللقاء في نفسه.

فالشاعر محب للوطن يزداد شوقاً في كلّ لحظة ويشكو البعد عن بلده مع أنّه يتركه في أول قطار بحثاً عن الرزق والراحة فبقي متعلقاً بالوطن يعيش الغربة متشتت الضمير مضطرباً قلقاً. للغربة أنواع منها النفسية، والسياسية، والاجتماعية، والعاطفية، و... أحياناً تجتمع هذه الأنواع في تجربة شاعرٍ ما حسب مراحل حياته والمحطات التي يمرّ بها، وأحياناً يبرز نوع واحد من هذه الأنواع فتظهر بقوة في نتاج شاعرٍ ما؛ ومن خلال تصفّحنا لشعر الصائغ وجدنا الغربة السياسية أكثر ظهوراً في شعره، ثم الاغتراب النفسي نتيجةً لحنين الشاعر وشوقه إلى بلده. وإننا في ما يلي سوف نركّز على الغربة السياسية في شعر الصائغ.

ب) الغربة السياسية

الغربة السياسية هي التي يتلى بها الإنسان جراء السياسات التعسفية التي تفرضها السلطات على معارضيها في الحكم؛ وبما أنّ الشعراء لهم رسالة أمام شعبهم ومصير بلادهم فمن هذا المنطلق يتصدّون إلى فضح سياسات الحكّام ومعارضة قراراتهم الفاشلة ولو بشمن الغربة وإبعادهم عن وطن الأم.

يقول "محمد قباچه" في هذا النوع من الاغتراب «عندما يتّصف الأمراء والحكّام والوزراء في بلدٍ بالقسوة والظلم والاستغلال زيادةً على فساد منهم أخلاقياً، فتزداد الهوة اتساعاً بين الناس وحكّامهم، فيفقد الناس ثقتهم بالحكّام، ويعنون سخطهم العنيف على سياسة الدولة وبغضهم

تجليات الغربة و ظواهرها في اشعار عدنان الصائغ ديواناً تأبط منفى و تكوينات نموذجاً على خضري، رسول بلاوي، آمنه أبكون لرجالها» (قباجة، ٢٠٠٨م: ٢٣-٢٤).

في بداية الأمر يبقى الشاعر متعلقاً بالبقاء في وطنه متحملاً للإحساس بالقهر والضياع بسبب استبداد أصحاب السلطة والنفوذ، وغياب العدالة والحرية الاجتماعية لكنه بعد تعرض الوطن إلى الفتن والحروب أجبر على ترك مدينته والذهاب إلى مكان آمن يحمل معه آمال العودة إليها بعد استقرار أحوالها.

يقول الصائغ عن الظروف الخائفة في بلاده ودس الجواسيس بين الشعب:

قَالَ أَبِي: / لا تَقْضُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى أَحَدٍ / فَالْشَّارِعُ مَلْعُومٌ بِالْأَذَانِ / كُلُّ أُذُنٍ / يَرِطُهَا
سَلَكٌ سِرِّيٌّ بِالْأَخْرَى / حَتَّى تَصِلَ السُّلْطَانُ

(المصدر نفسه: ٩)

يتذكر عدنان ماضي العراق وكلام أبيه الذي يحذره من أن يقص رؤياه على أحد مخافة أن تسمعه الأذان والجواسيس. كل هذا يدل على الظروف الخائفة المهلكة وظلم الحكام في بلد الشاعر. السلطان في وطن الشاعر شخص يحب سكب الدماء، يحب الظلم وإشاعته وإنه ظالم للغاية كأنه "هولاكو". اختيار كلمة "سلطان" لما فيها من فخامة وحشونة تناسب المعنى. يتكلم الصائغ عن حلم شبه واقعي في قصيدته "أنا وهولاكو" ويعكس ظلم الحكام في وطنه وحبهم لاستخدام الشبان للوصول إلى غاياتهم ومن يخرج عليهم سوف يقتلونه ويتكلمون أمه. يقول الشاعر:

قَادِنِي الْحُرَّاسُ إِلَى هَوْلَاكُو / ... / سَأَلَنِي لِمَاذَا لَمْ تَمْدَحْنِي / اِرْتَجَفْتُ مُرْتَبِكًا هَلْعًا: يَا
سَيَّيْدِي أَنَا شَاعِرٌ قَصِيدَةٌ نَثْرُ / ... / أَشَارَ لِسَيَّافِهِ الْأَسْوَدِ ضَاحِكًا: / عَلَّمَهُ إِذَا كُنَيْتَ
يَكْتُبُ شِعْرًا عَمُودِيًّا بِشَطْرِ رَأْسِهِ / وَهَوَى بِسِنِّيهِ الضَّخْمِ عَلَى عُثْقِي / فَتَدَخَّرَجَ رَأْسِي

(المصدر نفسه: ٤٨)

تعبير ك (ارتجاف الشاعر مرتبكاً هلعاً، وسيف أسود، وشطر رأسه، والسيف الضخم، وتدحرج رأس الشاعر) تدل على الظلم والأوضاع المأساوية في بلد الشاعر كأنه يريد أن يقول إن السياسة الظالمة سببت موت الشاعر عندما طرده من الوطن وأورثته له محنة اغتراب مريرة. وكذلك هذه الكلمات تدل على حالة القلق والتوتر النفسي لدى الشاعر المغترب. فالشاعر متضجر من ظلم الحكام وحبهم لسكب الدم وسكب الدمع؛ أي سكب دم الشباب وسكب دمع الأمهات حزناً وتفجعاً على أبنائهن وأزواجهن. فينشد الصائغ بحرقه بالغة وهو يخاطب أصحابه قائلاً:

أقول لصحبي: ألا تبصرون دمي يابساً في الغصون؟! كَلَّمَا نَصَبُوا حَاكِمًا/ نَصَبُوا أَلْفَ
مِشْنَقَةٍ/ وَأَنْتَمَسَمْنَا عَلَى الْمَوْتِ/ يَبِئْسَ الْحَرْبِ/ وَيَبِئْسَ الشُّجُونِ
(تكوينات، ٢٠٠٤م: ١٠٤)

فبدأت الحكومة في بلد الصائغ تبالغ في قتل الناس وفرضت عليهم الحروب وصنعت الزنازن
المظلمة لحبسهم فلم يعد يتحمل الشاعر هذه الأوضاع فغادر الوطن فراراً من الظلم والخن.

ج) الحنين إلى الأهل والأحبة

الحنين يُعتَبَر من أبرز مظاهر الغربة، فالشاعر في غربته وفي خضم الأحداث السياسية يلتجئ إلى
التغني ببلده وطبيعته الخلابة كي يتسلى بذلك وينسى همومه، كما يحنّ ويشتاق إلى أهله وأحبابه.
من الأمور المهمة في حياة الإنسان حاجته إلى أهله يأنس بهم، ويتحدث معهم، ويشكو إليهم ما يؤذيه
ليزيلوا عنه الهم واليأس ويدخلوا على نفسه السرور والأمل والشاعر لم يفقد هذه الصفة. فالحنين إلى
الأوطان «لا يعني التشوق إلى الأرض المجردة بقدر ما يعني التشوق إلى الأرض الأهله بالناس، ولذلك نجد
ارتباطاً بين الحنين إلى الأرض والحنين إلى أهلها، فالغربة عن المكان إذاً ليست سبباً في الحنين إليه فحسب
بل سبب في الحنين إلى ما فيه من أصحاب وأهل وأحباب» (الريعي، ٢٠١٣م: ٢٥٥).

يحنّ الصائغ إلى أبيه الذي مات وتركه وحيداً بين هؤلاء الطغاة الذين استغلّوا وطنه ودمّروه
وأوقعوا فيه الخراب يتذكر أيام طفولته ويرسم عنكبوتاً ويحطّطه على باب من الأحزان. ويرسم
الشاعر أيضاً أباه وطفولته وأخيراً يرسم قراه البعيدة التي تحتضن كل هؤلاء الذين رسمهم في قصيدة
باسم "تشكيل" قائلاً:

أَرْسُمُ عَنْكَبُوتًا وَأُحْنِطُهُ عَلَى بَابِ الْأَحْزَانِ/ أَرْسُمُ أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: لِمَ إِذَا تَبَرَكْتَنِي
وَحِيدًا أَمَامَ اللَّيَامِ/ أَرْسُمُ مَا تَبَدَّدَ وَأَدْعُو إِلَيْهَا طُغْيُولَتِي/ أَرْسُمُ نَائِيًا وَأَنْسَبِلُ مِنْ
تُغْوِيهِ إِلَى الْفَرَى الْبَعِيدَةِ

(المصدر نفسه: ٩١)

يأمل الصائغ أن تحدث معجزة ليتخلص من ظلم الطغاة كما خلّص الله النبي (ص) من
الظالمين وحفظه بيت العنكبوت والحمامة. إنّه يرسم جمال حياته الماضية ويشكو سوء حاله
وأحزانه الحاضرة كأنّه يلخص للقارئ كلّ حياته في هذه الأبيات. إنّه يخاطب بلاده بكل قلبه،
ويذرف الدموع مشتاقاً إلى أمّه وحنانها ويلجأ من ضوضاء العالم إلى صدرها حيث الأمن

تجليات الغربة و طواهرها في اشعار عدنان الصائغ ديواناً تأبط منفى و تكوينات نموذجاً على خضري، رسول بلاوي، آمنه أبكون والارتياح ولديه رسالة خطيرة وهي كتابة أحزان التاريخ أي الابتعاد عن الأم فقد أدخل في قلبه حزناً تساوي أحزان العالم بل أحزان التاريخ كله وهو يريد كتابتها. ينشد الصائغ صائحاً:

أصيح: بلادي/ وأشبهت... / أحتاج حبراً يمدد ما يشبه الدمع في فمنا/ لأكتب
أحزان تاريخنا/ وأنتل من مُدن كالصفيح إلى صدر أمي

(المصدر نفسه: ١٠٤)

بعد ما طرأت النوى والغربة على الشاعر رقت أحاسيسه وعواطفه فذهب إلى أبعد من ذلك ووصف أهله بأنهم يعانون الوحشة والوحدة بعده. فيحمل الشاعر قلبه كالخبز الذي يبحث عنه الجميع في وطنه العراق، فيقوم بتوزيعه بين المنافي و بين أهله الذين سوف يذكرونه بعد موته وسيسكبون الدموع على قبره. وربما يريد من الخبز المحبّة والحنان:

أحمّل القلب خبزاً بيماً/ أوزعه بين أهلي وبين المنافي/ على قد ما شردتنا الدروب/
الدموع التي سوف تتركها التاديات/ على قبرنا...

(المصدر نفسه: ١٠٤)

فكل ما يعاني منه الشاعر البعد عن أهله وأحبته الذين قاموا بالمعروف في حقّه. وإنّه يفقدهم في الغربة محروماً من لقائهم والاستئناس بحضورهم. فيرسل لهم الثناء ويحمل لهم في قلبه العطفة والرحمة.

د) الحنين إلى المظاهر الطبيعية

«كل ما يحيط بالإنسان من الكائنات الحيّة أو الجامدة، ونباتيّة أو حيوانيّة، طبيعيّة أو صناعيّة تعدّ من المظاهر الطبيعية» (الريعي، ٢٠١٣: ١١٢). وقد تأثّر شعراء كثيرون بهذه المظاهر الطبيعية الخلابة وأنشدوا قصائد طويلة فيها خاصّة إذا ما ذاقوا مرارة الوحشة وشقّت بينهم وبين أوطانهم الغربة والنوى. نرى عند الصائغ بعض هذه المظاهر التي تذكّر المواطن بطبيعة العراق. ومن أشهر ما وظّفه العناوين التالية:

١. النخل

النخلة مورد من موارد الخير والعطاء، وفي الشعر العربي يوجد ما يظهر من تعلق العربي بالنخلة متمنياً لها سقي الغواصي والغيوث الهواطل فتوقد في قلب الشاعر نار الوجد والحنين والشوق. وبما أنّ العراق يحتوي على أكبر غابات النخيل في العالم فقد يظهر عند الشعراء العراقيين تعلق شديد

بالنخلة ومشتقاتها، وعدنان لا يُستثنى من هذه القاعدة في الشعر العراقي. الصائغ يتحدث عن طول النخلة حيث تغطّي بلاده المسوّرة بالبنادق والتي قد ضيّع المسير إليها قائلاً:

لي بظلال النخيل بلادٌ مسوّرة بالبنادق/ كيف الوصول إليها/ وقد بعد الدّرث ما
بيننا والعتاب

(تأبّط منفى: ٧)

الشاعر يقدّم الخبر في بداية المقطع ليرسم لنا مظهراً من مظاهر حياة العربي وهي النخلة ويؤكد على أنّه ينتمي إلى وطن، وله بلد وهويّة. ثمّ يسأل عن كيفية الوصول إلى بلاده ولم يلبث حتى يصبح يائساً كأنّه يرى الأمر مستحيلاً ويأتي بالفعل الماضي المسبوق بـ(قد) ليحسّد ضخامة معاناته ويؤكد على أنّ الدروب سبّبت له الفراق والبعد وسيرافقانه مدى العمر. كذلك وظّف عدنان لفظة «بلاد» بشكل نكرة لتعظيم بلده وإكرامه. فهو مشتاق للقاء وطن محصور في البنادق تحت ظلال النخيل، ويكفيه أن يجد الطريق إلى وطنه ليروي نفسه ويسلّي خاطره.

٢. الفرات والدجلة

عندما يرى الشاعر مظهراً من المظاهر التي تُدركه بالوطن يبدأ بالحنين والبكاء، كما نراه يقف على جسر "مالمو" ويتذكّر الفرات فيكيه ويراه إنساناً حيّاً يمدّ يديه نحوه ليأخذه. فيجري الحوار بينه وبين الفرات ولم يلبث حتى تحوطه جيوش أمية من كلّ صوب مع أنّ ذلك في الحلم فما بال الواقع! فالشاعر حتى في عالم الخيال لم يتخلّص من كابوس الظلم والاضطهاد المتفشين في العراق:

على جسر مالمو/ رأيت الفرات يمدّ يديه/ ويأخذني/ .../ حتى رأيت جيوش أمية/
من كل صوب تطوفني

(المصدر نفسه: ٥٣)

الشاعر خائف قلق مسلوب الحرية حيث يخشى أن يفكر ويحلم بالوطن وإن فعل سوف يُلقى عليه القبض وسيدخل السجون والزنازن المظلمة. يتذكّر الشاعر مظاهر وطنه ويرحل عنها حزناً ويرسم صوراً جميلة من هذه الظواهر في أشعاره كما يفعل في هذا المقطع:

أفتح نافذتي/ فأرى الأفق أكثر من وطن/ يتشكّل غيماً، أعلق حزني فيه... وأرحل/
كان الفرات على بُعد بمقهاك/ كانت منائر بغداد تمشي قبيل الغروب إلى الجسر/ كي

تجليات الغربة و ظواهرها في اشعار عدنان الصائغ ديواناً تأبط منفى و تكوينات نموذجاً على خضرى، رسول بلاوى، آمنه أبگون

تنوُّضاً في ماء دجلة/ من سَوَّرَ النهر؟/ من أبعد النخل عن ليل نافذتي؟

(تكوينات: ١٠٤-١٠٣)

يبدأ الصائغ المقطع بفتح نافذته معلّقاً حزنه على غيمة ترحل نحو بلده ويختم المقطع بكلمة النافذة كأنّه يأمل عودته إلى الوطن. يشاهد الشاعر الفرات، ويتخيّل منائر بغداد ذاهبة نحو الدجلة لتتوضأ من مائها العذب وتتهيأ لصلاة المغرب، عندئذ يشتدّ حنينه وألم الغربة في نفسه. من ثمّ يلجّ الصائغ في السؤال عن الذي سَوَّرَ الأنهار في بلده وأبعد النخل عن نافذة ليله. وهو يعني: من هو السبب في ابتعادي عن الوطن؟

٣. تنور أمه

الصائغ في طريقه إلى مالمو (Malmo) في السويد يتذكّر بلده وتنور أمه ورغيفها الطيب ويودّع كلّ ذلك حتى كأنه لم يعد يراه مرّةً أخرى، فيودّعه ويودّع تاريخ بلاده التي قد تملكها العدو؛ ويترك كلمة الوداع الأخيرة وحيدة كأنه يريد من القارئ أن يشاركه في مأساته ويودّع ما يعاني أو ليقول وداعاً يا بلدي الطيب الذي أصبح خراباً بيد الأعداء. يودّع الشاعر نافذة الأمل في بلده الذي أصبح خراباً حتى يصل إلى تنور أمه ويودّعه كأنه يريد أن يقول لست آملاً في العودة إلى الوطن الوحيد الذي يجعلني أفكّر في الرجوع هي أمي وذكرياتنا!

وداعاً لنافذتي في بلاد الخراب/.../ وداعاً لتنور أمي/ وداعاً لتاريخنا المتآكل فوق

الروازين/ وداعاً لما سوف نتركه في اليمين/ وداعاً

(تأبط منفى: ٥٣)

يتذكّر الصائغ الأماكن الموجودة في بلده ويحنّ إليها حناناً لا نظير له ولا مثيل. إنّه يتذكّر النخل والفرات والدجلة وتنور أمه ويبكي لها وينوح لفراقها. وأخيراً كأنّه يشعر بالموت يودّع بلده وكلّ ما يبعث في نفسه البهجة والسرور.

النتيجة

□ غادر عدنان الصائغ العراق وآثر الغربة جراء المضايقات السياسيّة التي فرضها الحكّام في بلده وأيضاً الحروب التي كانت السبب المباشر في محنة الشاعر.

- الاغتراب السياسي من أبرز أنواع الاغتراب في شعر الصائغ وذلك نتيجة للظلم السياسي والعنف الذي تعرّض له العراق زمن النظام البعثي.
- الحنين يُعتبر من أبرز مظاهر الغربة، فالشاعر في غربته وفي خضم الأحداث السياسية يلتجئ إلى التغني ببلده وطبيعته وكل ما يتعلّق به كي يتسلّى بذلك وينسى همومه.
- نقل الشاعر الحنين والشوق نقلة زمانية، حيث كان يقيم في المنافي ولكن قلبه وأشواقه تهبو وتميل إلى العراق، ويصدر لأجله الآهات والزفرات ويبكي عليه مرهفاً بالأحاسيس الصادقة الناشئة من أعماق وجوده. فأشعاره كانت ذاتية تسعى إلى التنفيس عن مكنونات النفس وما يتعلّق بها من مشاعر الإحباط والتوتر.
- يتذكّر الشاعر مظاهر وطنه الراقية وأمناره العذبة، ومما تذكّره الصائغ وأسكب الدموع عليه ذكر أهله وأحبابه، وفي كلّ ذلك كان يعرّض بسياسات السلطة الحاكمة.
- عدنان شاعر سيطرت عليه الأحزان وخيم عليه الأسى فهو دائماً يبكي فراق أهله وبعده عن وطنه ودياره فصوّر ذلك كلّ في شعره بأفكار ملوّنة وأساليب متنوعة وبطرق مختلفة تتفاوت فيها قوّة العاطفة ورثة الأسى ولهفة اللقاء.
- الشاعر لم يلزم نفسه عنت التعقيد والإتيان بالفاظ رتانة وتعابير معقّدة، لأنّ مضاضة الغربة لم تدع له مجالاً للتكلّف والزخرفة؛ فهدف الشاعر هو إظهار ما في نفسه من المعاناة والألم في الغربة، وهذا يدلّ على صدق العاطفة عند الشاعر.

المصادر

القرآن الكريم

- ابن رمضان، فيروز (٢٠٠٥م)، *الغربة والحنين في شعر سليمان عازم*، مذكرة معدّة لنيل شهادة ماجستير في تخصص الأدب الشعبي، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربيّة وآدابها.
- ابن منظور، (١٤١٤هـ)، *لسان العرب*؛ اعتنى بتصحيحها أمين محمّد عبدالوهاب ومحمّد الصدق العبيدي، الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٩٨٢م)، *رسائل الجاحظ: الحنين إلى الأوطان*، الطبعة الثانية، بيروت، دار الرائد العربي.
- خليفة، بسمة (٢٠١١م)، *الحنين والألم في الشعر الأندلسي*، الطبعة الأولى، بيروت: دار النهضة العربيّة.

تجليات الغربة و ظواهرها في اشعار عدنان الصائغ ديواناً تأبط منفي و تكوينات نموذجاً على خضري، رسول بلاوي، آمنه أبگون

خليل بن أحمد الفراهيدي (٢٠٠٥م): العين، ، الطبعة الثانية، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الخليبي، مها (٢٠٠٧)، الحنين والغربة في الشعر الأندلسي: عصر سيادة غرناطة، قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللّغة العربيّة بكلّية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنيّة في نابلس، فلسطين.

دلشاد، جعفر و آخرون (٢٠٠٨م)؛ «الغربة في الشعر العراقي / الشاعر العراقي المهاجر نموذجاً»، طهران، جامعة تربيت مدرس، مجلة العلوم الإنسانية الدولية، العدد ١٥ (٤)، صص ٦٣-٧٥.

الربيعي، أحمد حاجم (٢٠١٣م)، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، الطبعة الأولى، بيروت، الدار العربية للموسوعات.

الزبيبي، وليد (٢٠٠٨م)، عدنان الصائغ تأبط منفي: حوار ومنتخبات الشعريّة، الطبعة الأولى، تونس، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم.

ستاروبنسكي، جان (١٩٦٨م) «فكرة الحنين إلى الوطن»؛ ترجمة ليلى عثمان، مجلّة ديوجين-مصباح الفكر، مصر: جامعة القاهرة، عدد٧، صص ٣٣-٥٩.

الصائغ، عدنان (٢٠٠٤م)، تأبط منفي: الأعمال الشعريّة، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسة والنشر.

————— (٢٠٠٤م)، تكوينات: الأعمال الشعريّة، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسة والنشر.

————— (٢٠٠٤م)، تلك السنوات المرّة: الأعمال الشعريّة، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسة والنشر.

قباجة، محمد عبد المنعم (٢٠٠٨م)، الغربة والحنين إلى الديار، في شعر العصر العباسي الثاني (٢٣٢هـ-٣٣٤هـ)، قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها بكلّية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل.

محمودي، راحله (١٤٣٣هـ)، عدنان الصائغ وآراؤه الاجتماعيّة والسياسيّة، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في فرع اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة أصفهان، كليّة اللّغات، قسم اللّغة العربيّة وآدابها.

المولد، روضة (٢٠٠٧م)، الاغتراب في حياة بن درّاج وشعره، رسالة مقدّمة إلى كليّة اللغة العربيّة وآدابها ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة أم القرى، قسم الدراسات العليا، مملكة العربية السعويّة وزارة التعليم العالي.

بازتاب غربت و جلوه‌های آن در شعر عدنان صائغ

مطالعه موردی دو دیوان: «تأبط منفی» و «تکوینات»

علی خضری*^۱، رسول بلاوی^۲، آمنه آبگون^۳

۱. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه خلیج فارس بوشهر

۲. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه خلیج فارس بوشهر

۳. دانش‌آموخته کارشناسی ارشد زبان و ادبیات عربی دانشگاه خلیج فارس بوشهر

چکیده

احساس غربت قدمتی به اندازه عمر بشر دارد و در همه گونه‌های انسانی از هر نژاد و فرهنگی بروز پیدا کرده‌است. این احساس گاه دل نازک شاعران را نیز تحت تأثیر قرار داده و هر یک از آنان با دیدگاه و موقعیت ویژه خود آن را بیان کرده‌اند. «عدنان صائغ» شاعر معاصر عراقی از جمله شاعرانی است که تاب تحمل شرایط سخت کشورش را نداشت و به‌ناچار در جست‌وجوی امنیت و روزی خود به کشور دیگری کوچ کرد و به این احساس دچار شد. جلوه‌های غربت و دل‌تنگی در شعر این شاعر نمود آشکاری دارد، تا آنجاکه به صورت مبالغه‌آمیزی به وطن خویش دل‌بستگی و شوق نشان می‌دهد.

این پژوهش با روش توصیفی - تحلیلی، می‌کوشد به مهم‌ترین موضوعاتی بپردازد که بیانگر غربت و دل‌تنگی شاعر در دو دیوان: **تأبط منفی** و **تکوینات** است و سیاست‌های ظالمانه دستگاه حکومتی را نقد می‌کند. همچنین از ستمگری‌های وحشیانه رژیم بعثی عراق، به‌ویژه آزار و اذیت روشنفکران، شاعران و نویسندگان عراقی سخن می‌گوید. یافته‌های این پژوهش نشان می‌دهد که شاعر علی‌رغم دوری از میهن خویش، همچنان دل‌بسته و شیفته دوستان، خویشان، و اماکن طبیعی عراق است و غم غربت را با سبکی ساده، روان، زیبا و به دور از لفظ‌پردازی، پیچیده‌گویی و آوردن تعابیر پرزرق‌وبرق بیان می‌کند.

کلیدواژه‌ها: شعر معاصر عربی؛ غربت؛ اشتیاق؛ عدنان صائغ؛ تأبط منفی؛ تکوینات.